ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

جوانب من إسهام التجارة الخارجية في بروز النخبة التجارية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط : ق 6-8هـ/12- 14م

Aspects of the Contribution of Foreign Trade to the Rise of the Commercial Elite in the Maghreb during the Middle Ages: 6-8 / 12-14

صص102- 119

د. المحجوب قدار
Elmahjoub Keddar
دكتوراه في التاريخ الوسيط،
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين جهة فاس مكناس- المملكة المغربية
elmahjoubkeddar@gmail.com

تاريخ استقبال المقال:2019/04/05، تاريخ المراجعة: 2019/04/15، تاريخ القبول: 2019/05/12.

ملخص : يسلط هذا البحث الضوء على بعض جوانب تأثير البنية الاقتصادية على البنية الاجتماعية في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، وبالضبط بين القرنين السادس والثامن الهجريين الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين.وهكذا ركزت الدراسة على النشاط التجاري خاصة ما ارتبط بالتجارة الخارجية، ومحاولة تتبع أثرها في صناعة النخبة التجارية؛بداية بالكشف عن مكانة هذا النوع من التجارة في بنية النشاط التجاري خلال الفترة الوسيطية، فمعظم المعطيات القليلة المتناثرة بين ثنايا المصادرربطت بين التجار الكبار والتجارة البعيدة، وذلك بحكم حجم الأرباح التي كانوا يحققونها.وتوصل البحث أيضا إلى أن عناية السلطة الحاكمة بتأمين السبل وحماية القوافل إنما يرجع إلى العائدات التي كانت تجنيها الدولة من وراء هذا القطاع،لذلك كانت معظم الدول التي تعاقبت على حكم البلاد تضع ضمن أولوياتها السيطرة على المدن والمراكز التي تقع المحاور التجارية المهمة، من أجل توفير القاعدة المادية لإكمال عملية التوحيدوضمان شروط النمو والاستمرار، سيما وأن هذه المراكز كانت تشكل مواطن استقرار كبار التجار. كما تصدت الدراسة في المبحث الأخير لبعض نماذج البيوتات التجارية الكبرى، فبالرغم من شح النصوص الخاصة بهذا الجانب فإن ما

توفر منها سمح بإلقاء شعاع من ضوء على المجال، حيث برز بيت المقري كأحد البيوتات التي تزعمت التجارة الخارجية في المحور التجاري الرابط بين الساحل والصحراء، فجمع بذلك أهله بين شرف العلم وربح التجارة.

كلمات مفتاحية: التجارة الخارجية؛ التجارة البعيدة المدى؛ النخبة التجارية؛ البيوتات التجارية؛ الدولة الموحدية؛ الدولة المرينية؛ المغرب الأقصى؛ بيت المقري.

Abstract: *This study sheds the light on some aspects of the impact of the economic structure on the social one in Morocco during the Middle Ages and especially during the Almohad and Mirinid era. The study focuses on commercial activity, especially on the long-term trade in an attempt to keep track of its role in the commercial elite creation. First, it shows the importance of this type of trade in the trading system during the middle ages. Most of data collected from different rare sources shows that there is a connection between the professional trades' people and the distant trade by virtue of the great profits they were making. The research also founds that securing the trade roads and protecting the convoys by the state was due to the revenues that it had been receiving from this sector. Therefore, the first priority for most of the regimes, which ruled the country over time, was to occupy the cities and the trade centers that were located in the important trade lines, which were the traders' peoples' home, in order to provide funds to complete the process of unification and ensure the conditions of development and continuity. The availability of resources, in spite of its scarcity, allowed shedding some light on the issue in the last aspect of the research. Al-Maqari House emerged as one of the houses that led the long-term trade in the commercial axis between the coast and the desert. Thus, his family gathered the honor of knowledge and the profit of trade.*

Keywords: *Long-term trade; the commercial elite; the commercial houses; the Almohad; the Almrainia; Morocco.*

مقدمة: لا مراء في أن التاريخ الاقتصادي للمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط لازال في حاجة إلى المزيد من البحث والتحليل، من أجل تحقيق التراكم العلمي المطلوب في هذا الجانب، بالشكل الذي يسمح بالكشف عن دور العامل المادي في تطور المجتمع وتتبع أثره على البنية الاجتماعية. وبالرغم من قلة المعطيات التي تناولت النشاط الاقتصادي بين ثنايا المصادر، إلا أنالنشاط التجاري يبقىأكثر الأنشطة الاقتصادية التي نالت اهتمام السلطة الحاكمة التي تعاقبت على حكم البلاد، لذلك فإن تعميق البحث بهذا الخصوص قد يفيد في تفسير الكثير من جوانب التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للبلاد.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

والجدير بالذكر أن التجارة تنوعت أشكالها كما تفاوتت أرباحها بناء على متغيرات كثيرة، الشيء الذي انعكس على طبيعة البنية الاجتماعية التي اشتغلت في هذا القطاع، فليس كل من مارس النشاط التجاري كان يصنف ضمن الأغنياء أو يدخل في عداد كبار التجار، بل الواقع أنه كانت هناك نخبة تجارية احتكرت معظم الأرباح وتحكمت في محاور التجارة الكبرى وقتئذ. نخبةاستند نشاطها التجاري على التجارة الخارجية ومنها العابرة للصحراء الكبرى،فجنت من ورائها الأرباح الطائلة التي مكنتها من البروز ليس كنخبة في مجالها فقط، بل كنخبة مجتمعية أسهمت في ازدهار المدن والدول التي عاشت فيها،كما أسهمت في إثراء الطبقة الحاكمة.

وبناء عليه فدراستنا هذه ترمي إلى كشف اللثام عن دور التجارة الخارجية في صناعة النخبة التجارية في المغرب الأقصى خلال الفترة الممتدة بين القرنين السادس والثامن الهجريين الثاني عشر والرابع عشر الميلادي، على اعتبار أن القطر المغربي عرف خلال هذه الفترة نموا حضاريا مهما، أسهمت التجارة فيه بشكل واضح. وذلك رغبة منا في التعرف على أثر البنية الاقتصادية على البنية الاجتماعية. فإلى أي حد أسهمت التجارة الخارجية في صناعة النخية التجارية خلال الفترة المدروسة؟

1- مكانة التجارة الخارجية في بنيةالنشاط التجاري خلال الفترة الوسيطية ق6-8 هـ/ 12-14م: إن معرفة أثر التجارة الخارجية في صناعة النخبة التجارية يفرض علينا إبراز مكانة هذه التجارة ضمن بنية النشاط التجاري عامة خلال العصر الوسيط، وذلك بحكم أن هذا النشاط لم يتخذ نمطا واحدا بل تعددت أنواعه وأشكاله تبعا لعدة لعوامل مرتبطة بالظروف الأمنية وبطبيعة المواد الرائجة، والمجال الذي تتم فيه التجارة سواء من حيث عدد سكانه أو تباعد أقطاره، وتشجيع السلطة أو عرقلتها لهذا النشاط. وقد جرت عادة الدارسين التمييز بين التجارة الداخلية والتجارة الخارجية، أما التجارة الداخلية فهي التي تربط بين مدن وقرى البلد الواحد، والتي عبر عنها ابن خلدون بتجارة "الأفق الواحد ما بين أمصاره وبلدانه"[1]، أما التجارة الخارجية فتتعدى حدود البلد الواحد إلى خارجه. ولا شك أن هذه الأخيرة هي المقصودة بالتجارة البعيدة المدى. لكن ابن خلدون ميز التجارة البعيدة المدى بعدة

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

خصائص أهمها بعد المسافة وخطورة الطريق، لذلك يقل التجار الذي يتعاطونها فتكثر بذلك أرباحهم[2].

ولعل هذا ما تؤكده معظم النصوص التي ترجع إلى الفترة المدروسة، فالتجار الكبار كانوا في معظمهم من التجار الذين تعاطوا للتجارة الخارجية، الرابطة بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك الكبرى آنذاك؛ وفي هذا الصدد يطالعنا ابن خلدون بقوله إن "نقل السلع من البلدان البعيدة المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجارة، وأعظم أرباحا وأكفل بحوالة الأسواق ... لأن السلع المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها، فيقل حاملوها ويعز وجودها، وإذا قلت وعزت غلت أثمانها، وأما إذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالأمن، فإنه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها، ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعد طرقهم ومشقته، واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء إلا في أماكن معلومة يهتدي إليها أدلاء الركاب، فلا يركب هذا الطريق إلا أقل الناس، فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء وكذلك سلعنا عندهم، فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك"[3]. ولا شك أن تلك الثروات التي جمعها التجار عادت على فنون الحضارة بالكثير من النمو.

وتجدر الإشارة إلى أن النخبة التجارية المعنية بالدراسة هي فئة التجار الكبار الذين يملكون رأسمالا كبيرا ويحققون أرباحا كثيرة، ذلك أن توسع النشاط التجاري وازدهاره أدى إلى تعدد الفئات التي تمارسه، وهذا ما جعل الباحث محمد ناصح يقسم التجار في تلك الفترة إلى أربع فئات معتمدا على عدة عناصر، أهمها حجم الاستثمارات والوضع الاجتماعي والدور الوظيفي، فهناك التجار الكبار ذوو الرأسمال المهم يتحركون في مجال واسع، ثم صغار التجار الذين تنحصر تنقلاتهم في المدن المجاورة أو البوادي القريبة، ولا يختلف مستوى عيشهم عن عيش باقي سكان المدن ذوي الحرف البسيطة؛ ثم الوسطاء والعاملون في التجارة كالوكلاء والسماسرة، والصنف الرابع هم الصناع وأصحاب الحرف المختلفة كالحدادين والنجارين[4]. وبالرغم من تحفظنا على هذا التقسيم لكونه أدخل الصناع والحرفيين ضمن التجار،

إلا أن ما يهمنا في هذا المقام هو الصنف الأول والمتكون من التجار الكبار والذين شكلوا نخبة اقتصادية لها مكانة اعتبارية في المجتمع، على اعتبار الثروة التي راكمتها والأدوار التي قامت بها لصالح الدولة والمجتمع.

ولا غرو فقد تعاظم دور التجار الكبار في الفترة الأولى من العصر الوسيط في العالم الإسلامي ككل، حتى أن محمود إسماعيل رأى أنهم كانوا يمثلون عصب "البورجوازية"، خاصة لما هيمن المسلمون على تجارة العبور العالمية "فكونت الثروات النقدية والعقارية، وتملكت الأسواق والأساطيل التجارية والشركات والوكالات الكبرى، وهيمنت على الصيرفة وشؤون المال"[5]. وتجدر الإشارة إلى أن محمود إسماعيل أدمج أرباب المهن والتكنوقراط* والبيروقراطية التجارية إلى جانب التجار الكبار فيما أسماه بالطبقة "البورجوازية"[6]. ومع تحفظنا على المفاهيم التي استخدمها في التعبير عن فئة التجار الكبار، إلا أننا نتفق معه في الوقع الذي أصبح للتجار في الحياة الاقتصادية في الغرب الإسلامي عامة.

وبالإضافة إلى تفسير ابن خلدون للتجارة الخارجيةوكيفية اثرائها لأصحابها، فإن جزءا كبيرا من أرباح هذه التجارة يأتي من كونها تتاجر بين مجتمعات متباعدة يجهل بعضها البعض، ومن ثم فهي تربط بين منتجات يجهل كلفتها المجتمع المصدر إليه، إذ هي منتجات نادرة بالنسبة له، مما يجعل الفئة التي تحتكر تجارتها تحقق أرباحا عالية فهي وحدها من يعرف الثمن الحقيقي لتلك السلع. وهذا ما لا نجده في تجارة الأفق الواحد[7]، حيث يتوفر عاملي القرب والأمن، "فإنه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها"[8]، فتقل بذلك أرباحهم.

وإذا كانت التجارة الخارجيةدرت على الكثير من أصحابها أموالا طائلة جعلتهم يصنفون ضمن النخبة التجارية، فإن تجارا آخرين يمكن تصنيفهم بالتجار المتوسطين استطاعوا تسلق سلم الثروة اعتمادا على التجارة الداخلية، والعمل من داخل الأسواق والقيساريات التي كانت منتشرة في الحواضر الكبرى للمغرب الأقصى خلال هاته الفترة. ومما يقوم دليلا على ذلك أن التاجر أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري بن جوير (ت655هـ/1257م) صنف بكونه من ذوي اليسار والجدة لتحرفه التجارة بقيسارية سبتة[9]. ومنهم أيضا أبو عبد الله محمد بن

عبد الرحمن بن الحسن بن محمد الأنصاري البلنسي بن كاهن (ت 635هـ/ 1237م) الذي "كان يتحرف التجارة، وكان من أمناء التجار وعليتهم"[10]. ذلك أن مدن المغرب الأقصى كانت عامرة بالأسواق النافقة ومنها مدينة مكناسة ومغيلة[11]. دون أن ننسى أن التجار الكبار النشيطون في التجارة الخارجية كانوا بدورهم يملكون عددا كبيرا من الحوانيت خاصة في مدن إقامتهم[12].

والواقع أن النخبة التجارية كانت معروفة عند العامة والخاصة من خلال عوائدها، إذ كانت تنزل على سبيل المثال في الفنادق التي تجاور جامع القرويين بفاس، ويسمي ابن الوزان هذا النوع من التجار ب " تجار من درجة سامية"[13].

2- بعض مظاهر عناية دول المغرب الأقصى بالتجارة الخارجية خلال العصر الوسيط ق6- 8هـ/12- 14م: شكل النشاط التجاري أحد الروافد الأساسية لخزينة بيت مال الدولة المغربية خلال العصر الوسيط لذلك أولته السلطة الحاكمة أهمية كبيرة، ربما أكثر من باقي الأنشطة الاقتصادية الأخرى، ولا غرو فتوحيد البلاد الذي شكل هاجس كل الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، كان بهدف التحكم في مسالك التجارة الداخلية والخارجية، وبالتالي تأمين مداخيل مهمة للسلطة التي تعيش في غالب الأحيان على إيرادات الضرائب وغنائم الفتوحات التي تقوم بها.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن قوة النخبة التجارية كانت مرتبطة بقوة أو ضعف النشاط التجاري الذي كان مرتبطا بدوره بمجموعة من العوامل، فإذا كان قيام أي نشاط تجاري مهم يتطلب وفرة الإنتاج الفلاحي والصناعي والسوق الاستهلاكية لتصريف الإنتاج، فإن هناك شرطا أساسيا لا يمكن أن تقوم التجارة بدونه، وهو الجانب المتعلق بالأمن. ولسنا في حاجة إلى التذكير بطبيعة المعطيات الأمنية في المغرب خلال العصر الوسيط والتي كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعطيات السياسية ومدى ضبط الدولة للمجال الذي تحكمه.

فالنشاط التجاري وبالخصوص التجارة الخارجية كانت تتأثر خلال تلك الفترة بمجموعة من العوامل والاكراهات التي تحد من فعاليتها، وعلى رأسها قلة الأمن أو انعدامه أحيانا، بسبب الاضطرابات التي كانت تحدث من حين لآخر. إضافة إلى الحروب التي خاضها بنو غانية وبنو مردنيش على الموحدين، هذا فضلا عن قطاع

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الطرق الذين كانوا يعترضون القوافل التجارية وينهبونها.وإدراكا منهم لأهمية إيرادات النشاط التجاري على الدولة والمجتمع فإن الموحدون أولوا أهمية كبيرة لتأمين الطرق التجارية، فأجروا عدة حملات عسكرية للقضاء على قطاع الطرق، وأبدوا نوعا من الصرامة والتشدد معهم، فلما قبض والي سجلماسة الموحدي السيد أبو الربيع سليمان على قطاع الطرق أمر بضرب أعناقهم[14].

ولم ينحصر اهتمامهم بالنشاط التجاري على مستوى تأمين الطرق فحسب، بل قاموا بإسقاط المكوس والقبالات التي كانت تفرض على التجار، ففي رسالة للخليفة عبد المؤمن إلى أهل قسنطينة أمرهم بإسقاط المكوس والقبالات والمغارم الجائرة التي كان "الأشقياء من ولاتها يرون ايجابها وإلزامها شرعا يلتزمونه وواجبا يقدمونه"[15]. كما اهتم الموحدون الأوائل بسن إجراءات حازمة لحماية التجار وتشجيع التجارة[16].

ونفس التشدد أبداه المرينيون فيما يخص تأمين المسالك التجارية الرئيسية، حيث لم يتردد السلاطين في الخروج في حملات كثيرة العدد لقطع شأفة قطاع الطرق، خاصة إذا تعلق الأمر بالمحاور الأساسية للتجارة آنذاك ومنها محور سجلماسة فاس، فلما بلغ إلى السلطان يوسف المريني أن عرب قبلة درعة يقطعون طريق سجلماسة، خرج إليهم في جيش من اثنا عشر ألف فارس، فقضى عليهم وقطع رؤوسهم وحملها معه إلى فاس ومراكش وسجلماسة، وعلقها على الأسوار[17]. كما اهتم المرينيون أيضا بإسقاط وإزالة أكثر الرتب والقبالات غير الشرعية، مثل ما قام به السلطان يعقوب بن عبد الحق مباشرة بعد توليته للحكم[18]. وكذا أبو الحسن المريني الذي قام بعدة إصلاحات جبائية عادت بالنفع على التجار كما على الفلاحين وسائر الناس[19]. ومنها الاجراءات التي قام بها من أجل تمهيد طرق المسافرين، حيث أمر بأن تعمر الطرق والمسالك الرابطة بين الحواضر الكبرى كفاس وسبتة ومراكش وتلمسان بخيام على مقدار اثنا عشر ميلا يسكنها الأهالي، على أن يلزموا ببيع ما يحتاجه المسافرون مقابل اقطاعات تقدمها الدولة لهؤلاء[20]. وكانت تلك الإجراءات من جملة ما شجع التجار على التجارة الخارجية[21].

وقد أسهمت الدولة في تنشيط الحركة التجارية بداخل المدن خلال هذه الفترة، من خلال العمل على إنشاء الأسواق والقيساريات، كقيسارية مراكش[22] الشهيرة التي

أنشأها الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحدي بمراكش وجلب إليها التجار، فكانت "قيسارية عظيمة لم يبق في كل الأرض أعظم منها وأمر بعمارتها سنة 585هـ/ 1189م"[23]. لكن الحريق الذي شب بها في صيف سنة 607 هـ/ 1210م أتى على أموال تجارها "وافتقر فيها أمة من ذوي اليسار وأصبحوا يتكففون الناس حيارى على الأقطار"[24]. ولا شك أن هذا الاجراء يدخل في جملة الاجراءات التي عادت بالنفع على التجارة الخارجية، إذ أتاحت القيساريات المجال المناسب لتداول السلع على اختلاف أنواعها، خاصة تلك النادرة منها والأتية من مناطق بعيدة.

وهكذا فإن الطبقة التجارية لم تكن الوحيدة المستفيدة من تطور الحركة التجارية ونموها بل كان يعم خيرها المجتمع ككل وفي مقدمتهم الدولة، ولا شك أن تطور بعض الدول الوسيطية وازدهار مدنها إنما كان من وراء ازدهار التجارة خاصة الخارجية العابرة للصحراء، وذلك بحكم الفائض الكبير من الربح الذي يوفره هذا النوع من التجارة بالمقارنة مع باقي الأنشطة الفلاحية والحرفية. وخير دليل يمكن سوقه بهذا الخصوص أن انهيار مدينة سجلماسة ارتبط في جانب كبير منه بانهيار تجارة القوافل الصحراوية نتيجة التحول الذي عرفته طرق التجارة العالمية نحو المسالك البحرية الأطلنتية بفعل الاكتشافات الجغرافية.

3- استقرار النخبة التجارية بالمدن التي تقع على خط التجارة الخارجية:

رغم أن المصادر تلوذ بالصمت فيما يخص الأفراد الذين اشتهروا بالتجارة الخارجية أو بالأرقام التي حققوها، إلا أنها مع ذلك تزودنا بنصوص مهمة يمكن أن تفيدنا في استنتاج الكثير من المعطيات حول النشاط التجاري لكبار التجار. ومن ذلك حديثها عن بعض المدن المغربية التي برزت باحتضانها لهذا النشاط، كمدينة سجلماسة الحاضرة التي داع صيتها في تجارة القوافل في الغرب الإسلامي، ولا غرو فابن الخطيب وصفها بأنها "أم البلدان المجاورة لحدود السودان فتقصدها بالتبر القوافل وتهدي إلى محرابها النوافل، والرفاهية بها فاشية"[25].

وتتوإلى شهادات الرحالة الجغرافيين حول غنى أهل سجلماسة من وراء القوافل التجارية الصحراوية، فابن حوقل يذكر أن المدينة تجني من ورائها "أرباحا عظيمة وفوائد جسيمة ونعما سابغة"[26]، ونظرا لغنى تجارها "فقلما يدانيها التجار في بلاد

الإسلام سعة حال"[27]. كما وصف الحموي سكان سجلماسة بأنهم "من أغنى الناس وأكثرهم مالا، لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها"[28]. أما صاحب الاستبصار فأشار إلى أن تجار هذه المدينة أغنياء، بل وتنبه إلى أمر مهم وهو أن منهم من غادر المدينة واستقر بفاس، واستطاع جمع ثروة كبيرة وأصبح من أغنيائها، حتى أنه عاين منهم "من يقال إن عنده المال الممدود رجالا كثيرين"[29].

ويطالعنا ابن حوقل بدوره بنص مهم حول ثروة أحد كبار تجار سجلماسة حيث يقول "ولقد رأيت بأودغست صكا في ذكر لبعضهم على رجل من تجار أودغست، وهو من أهل سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظيرا"[30]. ومع أن ابن حوقل متقدم عن الفترة المدروسة، إلا أن نصه هذا يؤشر على الأهمية التجارية للمدينة باعتبارها عاصمة التجارة في المغرب آنذاك، وموطن استقرار كبار التجار المغاربة. وعلى العموم فإن مدينة سجلماسة شكلت موطنا للنخبة الاقتصادية خاصة تلك التي اشتهرت بتعاطيها للنشاط التجاري بحكم موقعها المميز وطبيعة الفرص التي تتيحها للتجار. ولعل هذا ما جعل الباحث الحبيب الجنحاني يقول عنها إنها كانت تشكل مركزا تجاريا عالميا في تلك الفترة، وذلك بحكم موقعها المميز الذي يتوسط مسالك التجارة العالمية[31]. والواقع أن أهميتها التجارية هي التي جعلت منها هدفا للسيطرة عليها من طرف الدول التي تعاقبت على حكم المنطقة من أجل السيطرة على التجارة الصحراوية[32].

واشتهر أهل أغمات[33] أيضا بكونهم " أمليا‌ء تجار مياسير"[34] تعاطوا للتجارة الخارجية، فكانوا "يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفويه والعطر وآلات الحديد المصنوع"[35]، ومن القرائن التي تدل على مدى قوة وحجم استثمارات تجار هذه المدينة ما يرويه لنا الإدريسي بقوله: "ما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم مائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة، ولم يكن في دولة الملثم أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا"[36]، ومما يدل على سعة حالهم أيضا أنهم يتنافسون

فيما بينهم في إبراز الغنى والترف في شكل علامات يعلقونها على أبواب منازلهم تدل على مقاديرهم، "وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارته، أقام على يمين بابه وعن يساره عرصتين من الأرض إلى أعلى السقف، وبنيانهم بالأجر والطوب والطين أكثر، فإذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مع الأبواب قائمة عدها فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار، لأنه قد يكون من هذه العرص خلف الباب أربع وست من كل عضادة اثنتان وثلاث"[37]، وبالرغم من أن معطيات النص تتعلق بالفترة المرابطية، إلا أن صاحب النزهة يقر بأن تجار أغمات رغم نهب المصامدة لهم استمروا أغنياء مياسير خلال القرن السادس الهجري "لهم نخوة واعتزاز لا يتحولون عنه"[38]. وعن نفس المدينة أي أغمات وريكة يقول صاحب الاستبصار أنه كان يسكنها الأعيان، وبها ينزل التجار لأنها بوابة الصحراء وكانت "دار التجهيز للصحراء"[39]. ولعل هذا ما جعل المدينة تنعم في الرخاء والنعم المتنوعة التي اشتغل بوصفها الرحالة الجغرافيون[40].

أما مدينة سبتة فاشتهرت بدورها بتجارها الكبار الذين نشطوا في التجارة الخارجية، مستفيدين من انفتاحهم على التجارة المتوسطية والصحراوية معا، ومما يؤكد أهمية وغنى كبار تجار المدينة ما ينقله لنا صاحب كتاب الجغرافيا أن "هذه المدينة بين بحرين وهي ركاب البرين شبه الإسكندرية في كثرة الحط والإقلاع، وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المراكب بما فيها من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحة ولا يحوجون صاحبها إلى تقاض"[41]. كما يضيف لسان الدين ابن الخطيب أنها كانت "محط قوافل العصير والحرير والكتان"[42].

ولا شك أن موقع المدينة أهلها لاحتلال دور الريادة في علاقات المغرب التجارية مع محيطه الاقليمي سواء المتوسطي أو الصحراوي، سيما وأنها تتوفر على ميناء كبير مشهور[43]، قريب من عدوة الأندلس، ومنفتحة برا على جبل غمارة الذي يزود المدينة بخشب الأرز الذي تحتاجه لصناعة الأساطيل، بل ويتم تسويقه بدوره إلى خارج البلاد[44]، كما تستفيد المدينة من قربها من عدة حواضر أخرى أهمها مليلية وباديس والمزمة، فضلا عن قربها من أنهار مهمة منها نهر ملوية وواد لو[45]. كما اشتهرت المدينة

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

بصنوف المرجان المستخرج من البحر، ويخصص له سوق بالمدينة مما يجعل منه مقصدا للتجار من سائر البلدان وخاصة من غانة وجميع بلاد السودان[46].

كل هذه المقومات أتاحت الفرصة لتجار المدينة خاصة الكبار منهم للتعامل مع التجار الأجانب والاحتكاك بهم، وحسبنا أن بعض التجار المسلمين في الحوض الغربي للمتوسط بدأوا في بناء علاقات تجارية مع بعض مسيحيي مدن جنوب ايطاليا منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[47]. فسمحت لهم تلك العلاقات التجارية بمراكمة الأرباح الضخمة،وتحولوا إلى "بورجوازية محلية" على حد وصف الباحث محمد الشريف[48]. ومما ميز النخبة التجارية في سبتة أن حكام المدينة كانوا جزءا منها، وحسبنا أن اليانشتي وابن خلاص (ق 7هـ/13م) كانا من بين أغنى تجار المدينة قبل أن يمسكا بمقاليد السلطة بالمدينة[49].

ويستشف من المثال السابق مستوى التداخل بين السياسي والاقتصادي خلال تلك الفترة، فالوازع الذي جعل هؤلاء التجار يقتحمون المجال السياسي هو وعيهم بأهمية التموقع الجيد في الحقل السياسي للحفاظ على مصالحهم التجارية. وهو ما تؤكده الشواهد التاريخية، فالحركة التي أتت بالعزفي إلى السلطة سنة 647 هـ/ 1249م كانت مدعومة من طرف تلك الفئة من كبار تجار المدينة[50]. خاصة لما أحسوه من جور وثقل جبائي من طرف صاحب الأشغال الحفصي[51]، وهو ما يستشف من رواية ابن عذاري حول رغبة السكان في التخلص من ابن خالد والي الحفصيين على المدينة لقاء ظلمه وجوره، واحترامهم وتوقيرهم في المقابل للفقيه أبي القاسم العزفي الحاكم الجديد للمدينة[52].

وغني عن البيان أن إشارتنا إلى المدن السالفة الذكر لا يلغي دور مدن أخرى في النهوض بالقطاع التجاري وخاصة تلك التي تقع على خطوط التجارة الخارجية كفاس ومراكش أو مليلية وطنجة وغيرها[53]، لكن حديثنا عن سبتة وسجلماسة بالأساس ينبع من كونهما يشكلان بوابة المغرب الأقصى وقتئذ نحو محيطه الإقليمي، نحو المتوسط بشقيه الغربي والشرقي بالنسبة إلى الأولى، ونحو بلاد السودان وافريقيا جنوب الصحراء بالنسبة للثانية.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

وعموما فالتجار الكبار كانوا يميلون إلى الاستقرار في المدن التجارية الكبرى، أو كما ما سماها أحد الباحثين بالمدن التاجرة كسجلماسة ومراكش وسبتة وفاس وتلمسان، وكلها مدن تقع على خط المسارات التجارية الكبرى وخاصة قوافل التبر التي حولت المغرب إلى قوة ذلك العصر[54]، سيما وأن التجارة العابرة للصحراء الكبرى كان مسيطر عليها من طرف تجار شمال إفريقيا كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين[55].

4- بيت المقري نموذج بيوتات النخبة التجارية في التجارة الخارجية خلال الفترة المدروسة: لا تبوح المصادر إلا بمعلومات قليلة وشاحبة فيما يخص الجانب الاقتصادي عامة ويزداد الأمر تعقيدا كلما تعلق الأمر بالبيوتات والأفراد الذين برزوا في هذا المجال، وغالبا ما تكون تلك المعلومات عامة لا تتعدى وصف بعض المؤهلات التي تزخر بها المناطق التي زارها بعض الرحالة الجغرافيين خاصة. ولا غرو فمعظم المصادر اهتمت بنقل تفاصيل الحياة السياسية بينما أهملت الحديث عن الجانب الاقتصادي. ويجد هذ الأمر تفسيره في كون أن الدولة المغربية خلال العصر الوسيط أعطت الأولوية للعامل السياسي على حساب العامل الاقتصادي، سيما وأن الخيار السياسي للجماعة هو الذي كان يحدد حياتها الاقتصادية[56]. وهذا مما يعقد مهام الباحث في مبحث النشاط الاقتصادي عامة والتجاري خاصة خلال هذه الفترة.

ومع صعوبة تتبع خطى البيوتات التي تصدرت الحياة التجارية وتعاطت للتجارة الخارجية، فإننا سنعمل على محاولة تجميع الإشارات القليلة قصد التعرف على طبيعة النخبة التجارية من حيث أسماء البيوتات التجارية الكبرى أو من حيث المواد الذي كانوا يتاجرون فيها وقتئذ.

فمن البديهي أن التجار لم يكونوا على مستوى واحد من الأرباح اعتبارا لحجم التجارة أو مجالها أو لطبيعة المواد المتاجر فيها، وليس غريبا أن تظهر بعض الشركات التجارية الكبرى على ضوء ذلك النمو الذي عرفته التجارة الخارجية خلال تلك الفترة، فبالرغم من أن المصادر تلوذ بالصمت عن هذا الجانب، إلا أن صاحب نفح يقدم لنا نموذجا مهما عن إحدى الشركات التجارية التي نشطت في التجارة الخارجية خلال الفترة المرينية، وهي شركة أسرة المقري التلمسانية التي استطاعت الربط بين

عدد من مدن الغرب الإسلامي خلال القرن السابع الهجري، حيث اتخذت لها فروعا في عدد منها كمدينة سجلماسة وتلمسان وولاتة[57].

ومن ذكاء هذه الشركة الأسرية المتكونة من خمسة أفراد اتجاهها إلى السيطرة على محور التجارة الصحراوية، من خلال استقرار اثنين من أفرادها وهما الأكبر في تلمسان، واثنين آخرين في إيوالاتن (ولاتة) بالصحراء، بينما استقر الخامس في سجلماسة، فتم لهم بذلك التحكم في أرباح هذا المحور حتى "اتسعت أموالهم وارتفعت في الضخامة أحوالهم"[58]. لكن تحول وانحراف الطرق التجارية نحو الشرق تسبب في تراجع شركة المقري ومعها الاقتصاد المغربي[59].

ولم يكن لشركة المقري التجارية أن تنجح لولا تظافر عدة عوامل متعددة أهمها انتماء أفرادها إلى أصل عائلي واحد، مما يسر عليهم عملية التواصل ووفر بينهم عاملي الثقة والأمانة، إذ تكونت الشركة من خمسة رجال أشقاء هم أبناء يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي القرشي المقري، كما أنهم "عقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال"[60]. وتجدر الإشارة إلى أن جدهم عبد الرحمن قد عاصر الشيخ أبا مدين المتوفي سنة 595هـ/1198م وكان صاحبا له[61].

دون أن ننسى أن التجارة الناجحة تتطلب تجارا محترفين، خبروا التجارة وتلقوا أصول الحرفة وتدربوا عليها منذ الصغر، وذلك ما توفر لهولاء الأشقاء، وحسبنا دليلا على ذلك أن طبقات هذا البيت اشتهرت بالتجارة[62]. لكنهم لما عزموا على توسيع تجارتهم واتفقوا على خوض غمار التجارة البعيد المدى مدفوعين بالرغبة في جنى أكبر الأرباح، أخذوا بأسباب هذا الأمر حيث "مهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار، واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير"[63].

كما أن استقرارهم على محور تجاري حيوي ربط بين الصحراء والساحل سهل عليهم عملية التحكم في التجارة الصحرواية، ومن ثم جني أرباح طائلة، علاوة على ذلك فإنهم لم يكتفوا بالتجارة في هذه المراكز، بل "اتخذوا بهذه الأقطار الحوائط والديار وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء"[64]، وهذا ساعدهم على اكتساب ثقة أهالي تلك البلدان وتوطيد العلاقات وكسب الأتباع وتوسيع التجارة وزيادة الأرباح.

من جهتها أسهمت طبيعة السلع التي كانت تتاجر فيها شركة المقري في تحقيق أرباح مهمة، إذ غلب عليها الطابع الكمالي كالجلد والعاج والجوز والتبر وغيرها[65]. ومثلت مدينة سجلماسة في تجارتهم الخيط الرابط بين الشمال والجنوب، ولا غرو فقد كان أخوهم المستقر بها بمثابة "لسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان، ويكاتبهما بأخبار التجار وأخبار البلدان"[66].

وهكذا فبالرغم من قلة ما وصلنا من أخبار حول البيوتات التجارية الكبرى، إلا أن هذا المثال يقف دليلا على وجود نخبة تجارية متخصصة تزعمتها بعض بيوتات الغرب الإسلامي، ويعد بيت المقري واحدا منها، إذ اشتهر هذا الأخير بتعاطيه للعلم والخطط الإدارية في العهد المريني إلى جانب النشاط التجاري الذي شكل المصدر الأساسي لدخل هذا البيت[67].

وارتباطا بالتجارة الخارجية كان تجار الكتان وتجار الأقمشة النسائية خصوصا هم "أغنى تجار فاس لأن مبيعاتهم تفوق ما يحققه غيرهم من التجار مجتمعين"[68]. ويعزى ذلك إلى أهمية الطلب على هذه المنتوجات من طرف النساء، بالإضافة إلى ارتفاع أثمنة هذه الأقمشة خاصة المصنوعة من الحرير منها، التي كانت موجهة بالأساس إلى حريم النخبة من الأمراء والعمال والعلماء ومن على شاكلتهم، كما أن هذه المنتوجات كانت تدخل ضمن البضائع التي تأتي بها التجارة الخارجية.

ولم يخل المجال التجاري من حضور العنصر اليهودي، حيث نشط هذا الأخير في مختلف الأنشطة التجارية خاصة تلك المرتبطة بالتجارة المتوسطية مع التجار الأوربيين، وحسبنا أن اليهود كانوا يأتون على رأس التجار الأوربيين المتعاملين مع التجار المسلمين[69]، وقياسا على ذلك فليس من المستبعد أن يكون التجار اليهود المغاربة قد تزعموا بدورهم التجارة المتوسطية انطلاقا من الضفة الجنوبية، أو على الأقل كان لهم نصيب وافر منها، مما سمح لهم دون شك بتكوين ثروات كبيرة، فبرزوا من خلالها كفئة "بورجوازية" مميزة. الأكثر من ذلك أن حضورهم ضل مستمرا في التجارة المغربية إلى فترة متأخرة[70].

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

خاتمة: صفوة القول إن العامل الاقتصادي كان له أثرا مهما على البنية الاجتماعية في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط عموما، وأسهم إلى جانب عوامل أخرى في إحداث عدة تغيرات على المستوى الاجتماعي، وذلك ما اتضح على الأقل من خلال مبحث التجارة الذي اعتنت به هذا الدراسة، إذ مكنت التجارة الخارجية من رفع أصحابها إلى عداد كبار التجار الذين حققوا أعلى الأرباح، فبرزوا بذلك نخبة تجارية مجتمعية كان لها نصيبها الواضح في التطور العام، والنمو الذي عرفته الدولتين الموحديةوالمرينية. وبالرغم من عدم إفصاح الاسطوغرافياالوسيطية عن أسماء البيوتات التي تصدرت هذا القطاع، إلا أن المعطيات التي جادت علينا بها البعض منها قد أكدت على أن معظم كبار التجار كانوا ممن تعاطوا للتجارة الخارجية.

ولا شك أن عناية السلطة الحاكمة بتأمين الطرق الخاصة بالتجارة عامة كان نابعا من وعيها بأهمية العائدات التي كانت تجنيها من ورائها، لذلك فليس غريبا أن نجد الدول التي حكمت المغرب كانت تستهدف السيطرة على المراكز التي تقع على المحاور التجارية الحيوية. لكونها شكلت موطن استقرار كبار التجار كسجلماسة وفاس ومراكش وسبتة، بغية توفير القاعدة المادية للانطلاق في ضم باقي المناطق.

ولا نبالغ إذا قلنا إن الرخاء الاقتصادي الذي عاشه المغرب الأقصى خلال بعض فترات العصر الوسيط خاصة خلال العصرين الموحدي والمريني، كان انعكاسا أمينا للازدهار الذي عرفه النشاط الاقتصادي عموما والنشاط التجاري على وجه الخصوص. وحسبنا أن المستشرق أرشيبالد لويس قد أشار إلى أن الرخاء الاقتصادي الذي ساد أيام المرابطين والموحدين من بعدهم، هو الذي شكل الدعامة الرئيسية التي قامت عليها الحضارة الإسلامية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[71]. مما يفتح الأفق واسعا لأبحاث أخرى تعمق الحفر حول مدى محورية النشاط الاقتصادي عموما والنشاط التجاري خصوصا ليس فقط في التأثير على بنية المجتمع، بل على مستوى انهيار وقيام دول العصر الوسيط بالغرب الإسلامي.

الهوامش

1- ابن خلدون (عبد الرحمان بن أبي بكر الحضرميت 808 هـ/ 1405م)، **المقدمة**، تحقيق: عبد السلام الشدادي، ط.1، بيت الفنون و المعرفة والآداب، الدار البيضاء، 2005،ج.2، ص 271.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، م. س، ج. 2، ص 270- 271.

3 - نفسه، ص 270- 271.

4- ناصح (محمد)، "**مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري المغربي خلال القرن 6 هـ/ 12 م**"، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1989، ج. 2، ص 75- 81.

5- محمود (إسماعيل)، **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي**، طور الازدهار 1، ط. 3، سينا للنشر، بيروت، 2000، ج. 2، ص 154.

6- المرجع نفسه، ص 153 – 154.

* يقصد محمود إسماعيل بالتكنوقراط الأطباء والمهندسين والكيماويين، وغيرهم ممن استندت على وجوههم تقنيات النهضة الزراعية والصناعية والتجارية. محمود (إسماعيل)، **سوسيولوجيا الفكر** ...، ج. 2، م. س، ص .154

7 - ابن خلدون، **المقدمة**، ج.2، ص 271.

8 - نفسه، ص 270.

9 - ابن عبد الملكالمراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد ت 703هـ/ 1303م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بنشريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط. 1، 2012، مج. 4، ص 374.

10 - نفسه، ص 552.

11 - الإدريسي (الشريف أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني) (ت 559هـ/ 1163م)، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، مج. 1، ص 244.

12 - عز الدين (أحمد موسى)، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 279.

13 - الوزان، **وصف** ...، م. س، ج. 1، ص 233.

14 - أبو رميلة (هشام)، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط. 1، دار الفرقان، عمان الأردنية، 1984، ص 379.

15 - بروفنصال (ليفي)، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص 21.

16 - ناصح (محمد)، **جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب في العصر الوسيط (ق 6هـ/ 12م) نموذجا**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الخامس، الرباط، 1987- 1988، رسالة مرقونة، ص 79.

17 - ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، 378.

18 - نفسه، ص 375.

19 -ابن مرزوق (التلمساني ت 781 هـ/ 1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوسبيغيرا، تقديم محمود بوعياد، إصدارات المكتبة الوطنية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 282- 286.

20 - نفسه، ص 429.

21- أمراني علوي(محمد)، **سجلماسة وتأثير التجارة في العهد المريني**، ط. 1مطبعة أنفو برانت، فاس،، 2015، ص 54.

22 - ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي ت بعد 712 هـ/ 1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين**، تحقيق: الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، ط. 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985، ص 257- 258. رابطة الدين (محمد)، **"قيسارية مراكش الموحدية"**، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ج. 2، 1989، ص 7- 18.

23 - مجهول (ق 6 هـ/ 12م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د. ت، ص 210.

24 - ابن عذاري، البيان ...، م. س، 258.

25- ابن الخطيب (لسان الدين) (ت 776 هـ/ 1374م)، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق ودراسة: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، ص 181.

26 - ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) (ق 4 هـ/10م)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص .65

27 - نفسه، ص 65.

28 - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي) (ت 626 هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د.ت، ج. 3، ص 192. القزويني (زكرياء بن محمد محمود) (ت 682 هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د. ت، ص 42.

29 - مجهول، **الاستبصار** ...، م. س، ص 202.

30 - ابن حوقل، **صورة**...، م. س، ص 96.

31 - الجنحاني (الحبيب)، **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، عالم المعرفة، العدد 319، مطابع السياسة، الكويت، شتنبر 2005، ص 158.

32- M.J. Viguira, **Le Maghreb mérinide : un processus de transfèrement**, p 311- 312.

33- ينظر بخصوص مدينة أغمات : أزريكم (عبد الرزاق بن عمر)، **مدينة أغمات وما إليها**، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط. 1، 2012، ص 304.

34 - الإدريسي، **نزهة** ...، م. س، ص 232. أزريكم، **مدينة أغمات** ...، م. س، ص .304

35 - الإدريسي، **نزهة** ...، م. س، ص 232.

36 - نفسه، ص .232

37 - نفسه، ص 232.

38 - نفسه، ص 232.

39 - مجهول، **الاستبصار** ...، م. س، ص 207.

40- الإدريسي، **نزهة** ...، م. س، ص 233.

41- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط. 1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 139.

42 - ابن الخطيب (لسان الدين)، **خطرة الطيف رحلات في المغرب والأندلس**، تحقيق وتقديم: أحمد مختار العبادي، ط. 1، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 2003، ص 99.

43- ابن سعيد، كتاب **الجغرافيا** ...، م. س، ص 139.

44- نفسه، ص 139.

45- نفسه، ص 139.

46- الإدريسي، **نزهة** ...، م. س، ص 229.

47- RENOUARD. Y, les hommesd'afairesitaliens au Moyen-Age, Paris, 1949, pp 7-8.

48- الشريف (محمد)، **سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي عصر الموحدين والمرينيين**، ط. 2، منشورات جمعية تطاون- أسمير، الرباط، 2006، ص 146.

49- الشريف، **سبتة الإسلامية** ...، م. س، 146.

50 - نفسه، ص .147

51- نفسه، ص 147.

52 - ابن عذاري، **البيان** ...، م. س، ص 397 – 398.

53 - زنيبر (محمد)، "**بعض موانئ التجارة المغربية خلال العصر الوسيط**"، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ج. 2، 1989، ص 140- 243.

54 - الغرايب (الحسن)، **مسيحيو المغرب الأقصى في العصر الوسيط**، مطابع الرباط نيت، الرباط، 2015، ص 218.

55 - آدامو (مهدي)، "**الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط**"، في: تاريخ إفريقيا العام، المجلد 4، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر م، إشراف ج. ت. نيابي، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، ص 302.

56 - الطاهري (عبد الحق)، **الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015، ص 183.

57 - المقري (التلمساني)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، مج. 5، ص 205. كربي (ماجدة)، **العلاقات التجارية بين المغرب والسودان في العصر المريني 668- 759هـ/ 1269- 1358م**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، موسم 1987- 1988، مرقونة، ص 281. أمراني علوي، **سجلماسة** ...، م. س، ص 55.

Zaidi Azzeddine, **La Famille des EL MAKARY Dansl'histoire de Telemcen,** The Algerian journal of Researches and Mediterranean historical studies, N. 2, 2015, pp 313- 322. p 314.

58 - المقري، **نفح**...، م. س، مج. 5، ص 205.

59 - المقري، **نفح**...، م. س، مج. 5، ص 205، ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية** ...، م. س، ص 48.

60 - المقري، **نفح**...، م. س، مج. 5، ص 205.

61 - نفسه، ص 203- 204.

62 - نفسه، ص 205.

63- نفسه، ص 205.

64- نفسه، ص 205.

65 - نفسه، ص 205.

66- نفسه، ص 205.

67- Zaidi Azzeddine, La Famille des EL MAKARY ..., op. cit, p 314.

68 - الوزان (الحسن بن محمد الفاسي) (ت بعد سنة 944 هـ/ 1537م)، **وصف إفريقيا**، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج. 1، ص 241.

69- LESPES. R, « **ORAN ville et port avantl'occupation française** », Revue africaine, Alger, N. 75, 1934, p 291.

70- Michel Abitbol, **Les comerçants du roi: Tujjar al-Sultan une élite économique judéo marocaine au XIXe siècle**, Paris, Maisonneuve& Larose, 1998.

71 - أرشيبالد (لويس)، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، ترجمة أحمد موسى عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 387.